منطق التكامل بين المداخل في منهاج مادة التربية الإسلامية.

(بودين عبد الكريم)

مقدمة:

نص القانون الإطار 51.17 في ديباجته على أن من جملة الإجراءات المحققة لجودة التعلمات: **مراجعة المقاربات والبرامج والمناهج البيداغوجية.** كما أشار في المادة الثالثة من الباب الثاني إلى **أن تحسين جودة التعلمات وتطويرها يقتضي المراجعة العميقة والمستمرة والمنتظمة للمناهج والبرامج والتكوينات.**

ويشاء الله أن تكون مادة التربية الإسلامية سباقة إلى تنزيل هذه الإجراءات، بل إن مراجعة منهاج المادة كانت قبل صدور القانون الإطار. وقد تميزت هذه المراجعة بعدة خصائص، من أبرزها التنصيص على **البعد التكاملي لمداخل مادة التربية الإسلامية.**

1. **المفاهيم المؤسسة للورقة البحثية:**

-المدخل:" يطلق على الرؤية المعتمدة في كيفية تدريس مادة دراسية؛ ولهذا يفترض أن يكون التدريس ب"المداخل"مبررا إبستيمولوجيا ينسجم وطبيعة المعرفة المدرسة؛ وسيكولوجيا يستجيب لخصائص المتعلم وحاجاته."

والمداخل في سياق الوثيقة المنهاجية هي: **"مسارات وجدانية ومعرفية وسلوكية وسيكوبيداغوجية، تمكن من المحافظة على وحدة شخصية المتعلم(ة) بملامسة جميع مكوناتها".**

المداخل إذن أداة لمعالجة شخصية المتعلم(ة) من كل أبوابها الفكرية والوجدانية والسلوكية، في انسجام تام مع مشروع المادة المتمثل في: **"تنشئة الفرد وبناء شخصيته بأبعادها المختلفة الروحية والبدنية، وإعدادها إعدادا شاملا ومتكاملا."**

إن المدرس(ة) في منهاج المادة، يرقى لمقام وراثة النبوة في وظائفها التربوية والتعليمية لأنه يشتغل على جميع أوجه الشخصية الإنسانية؛ التي جاءت البعثة النبوية لإخراجها من الظلمات إلى النور.

-الوحدة الدراسية: يقصد بالوحدة الدراسية بيداغوجيا: (تنظيم خاص في المادة التدريسية وطرق التدريس يضع المتعلمين في موقف تعليمي متكامل يثير اهتمامهم، ويتطلب منهم نشاطا متنوعا يناسبهم، ويراعي ما بينهم من فروق فردية، ويتضمن مرورهم في خبرات تربوية معينة، ويؤدي بهم إلى فهم وبصيرة في ميدان أو أكثر من ميادين المعرفة، وإكسابهم مهارات وعادات واتجاهات وقيم مرغوب فيها).

أما في سياق المنهاج فهي:(مفاهيم وقضايا المداخل الخمسة المؤطرة بالمقطع القرآني؛ أي: المقطع القرآني ودروس المداخل الخمسة).

فالوحدة الدراسية في منهاج المادة: (بنية معرفية ديداكتيكية منسجمة ومتكاملة، تعالج قضية عبر مراقي المداخل الخمسة بشكل متنام ومنسجم ومتكامل، مؤطرة بالمقطع القرآني لبناء شخصية المتعلم(ة) من كل أبعادها على قيم الدين تحقيقا لمقاصده؛ فهي إذن بنية سيكوبيداغوجية).

-الوضعية المشكلة الإدماجية:

- ✓ **الوضعية المشكل: المفهوم:**
  - الوضعية المشكل وضعية تعلمية؛
  - وسيلة للتعلم، وليست نتيجة.
  - استراتيجية للتعليم تشجع انخراط المتعلم؛
  - تمكن من بناء التعلمات.

وبناء عليه فالوضعية المشكل، هي:

"مقاربة بيداغوجية في التعليم تهدف-عبر التساؤل- إلى استثارة التفكير وتنمية الحس النقدي لدى المتعلم. إنها تخلخل تمثلات المتعلم الشائعة، وتأخذها بعين الاعتبار في الآن نفسه".

- ✓ **الوضعية المشكل مهمة كلية:**
  - فهي كاملة، لأن لها سياقا(معطيات أولية) وتتضمن هدفا عاما-هدف الوحدة-
  - تستدعي أكثر من فعل وأكثر من إجراء، أو أكثر من عملية؛
- ✓ يمكن تجزيئها إلى عدة أجزاء وعناصر (يمكن الاشتغال عليها من جانب التزكية، ومن جانب النموذج المقتدى به، ومن جانب الاستجابة والقسط والحكمة، بشكل مندمج غير منفصل).
- ✓ **الوضعية المشكل مهمة ذات معنى:**

- ذات معنى بالنسبة للمتعلم؛ لأنها لها علاقة بواقعه تستدعي ما يعرفه- فكره...؛
- هي ملموسة لأن لها هدفا (منتجا)، وتستوجب فعلا حقيقيا، وتتطلب توظيف المعارف والتقنيات والاستراتيجيات....(أي أن المتعلم مشارك في بناء معارفه وليس متفرجا).

✓ **خصائص الوضعية المشكل:**

- تمكن المتعلم من ممارسة تعلمات حقيقية بوضعهم في قلب سيرورة التعلم، وتستدعي انخراطهم، بحيث يصيرون فاعلين أكثر لأنهم يوظفون حمولتهم المعرفية والذهنية، وذكاءهم، ومهاراتهم...
- تحتوي معطيات أولية تحدد سياق الوضعية، وتكون ضرورية لحل المشكل؛
- لها ارتباط مباشر بواقع المتعلم؛
- سؤال الانطلاق ليس تقليديا: إنه يتضمن في صياغته لغزا أو عقدة، أو مفارقة، أو تناقضا، أو تعارضا بين حقيقتين اجتماعيتين....

❖ **الوضعية الإدماجية في سياق المنهاج:**

الوضعية الإدماجية، أو **الناظمة**، أو **المركبة**، أو **النسقية**، أو **البنائية** هي: "وضعية مشكلة ينطلق منها المدرس بداية كل وحدة دراسية، ويدمج فيها القضية المركزية للمقطع المقرر من السورة القرآنية المقررة مع المفاهيم المركزية للدروس الخمسة، بدل تخصيص وضعية مشكلة لكل درس، كما كان يعمل به في المنهاج السابق."

2. **العلاقة النسقية بين مداخل المادة:**

إن منطق التكامل بين المداخل أراد تجاوز التخبط الذي أنتج حالة من عدم الانسجام الداخلي بين مجموع المعارف المكونة لمادة التربية الإسلامية، الأمر الذي انتبه إليه المنهاج الجديد، حين مثل لهذا الخلل بالإشارة إلى ضرورة (تحسين منهاج السنوات الأربع الأولى من التعليم الابتدائي لتصحيح النواقص الملحوظة في الكتاب الأبيض، ومنها الاختلالات التي
تشوب منهاج التربية الإسلامية، ضعف الانسجام).

وقد نصت وثيقة المنهاج على البعد التكاملي والعلاقة النسقية بين مداخل المادة في الفقرة التالية:

"فتزكية النفس بتعظيم الله ومحبته ودوام الاتصال به، والاقتداء بالرسول الكريم صلى الله عليه وسلم نموذج الكمال البشري تعبدا وسلوكا، من خلال الاستجابة لأوامرالله ورسوله صلى الله عليه وسلم وإخلاص العبودية لله وحده، وذلك كله يدفع بالفرد للتحقق بالمواطنة الصالحة، من خلال تمثل حقوق الله وحقوق النفس وحقوق المجتمع، واتخاذ مواقف ومبادرات إيجابية تهدف تحقيق النفع العام."

إن منطق التكامل بين مداخل المادة يتجلى في كونها تستهدف شخصية المتعلم(ة)، حيث تدخل إليه من تصوراته العقدية(مدخل التزكية)، لتحرره وتدفعه للحركة وفق نموذج النبوة(مدخل الاقتداء)، وتجدد سيره بالتزود بأداء العبادة والفرائض(مدخل الاستجابة)، حتى يقوى على الوفاء بالحقوق(مدخل القسط)، ليرتقي إلى مقام المبادرة والجود بالموجود محبة(مدخل الحكمة).[1]

وتحت بند وسم ب"هام جدا"، في ختام وثيقة الأطر المرجعية لجميع الأقسام الإشهادية، تم الحسم في ماهية المادة، حيث نصت على ما يلي:

(تعتبر مادة التربية الإسلامية مادة واحدة مندمجة ومتكاملة، ومداخلها ليست بنيات مستقلة في المنهاج، وإنما هي مقاربات سيكوبيداغوجية وديداكتيكية لاكتساب المعارف وبناء المفاهيم وتملك القيم في تكامل لبناء شخصية المتعلم).[2]

ولأن مادة التربية الإسلامية مادة واحدة ومندمجة ومتكاملة، فإن مداخلها ليست بنيات مستقلة أو مكونات منفصلة، لكنها(مسارات وجدانية ومعرفية وسلوكية وسيكوبيداغوجية، تمكن من المحافظة على وحدة شخصية المتعلم بملامسة جميع مكوناتها).[3]

المداخل إذن أداة لمعالجة شخصية المتعلم(ة) من كل أبوابها الفكرية والوجدانية والسلوكية، في انسجام تام مع مشروع المادة المتمثل في(تنشئة الفرد وبناء شخصيته بأبعادها المختلفة الروحية والبدنية، وإعدادها إعدادا شاملا ومتكاملا).

وهكذا توزعت مداخل التربية الإسلامية وفق تصور بيداغوجي موحد، يحقق التكامل البيداغوجي الخارجي بين المداخل الخمسة، والانسجام الابستمولوجي الداخلي بين مفردات كل مدخل، ويمتد لتحقيق التكامل الخارجي للمادة بين المستويات الدراسية.

1.مشروع التوجيهات التربوية (ص: 32)
2.الإطار المرجعي للامتحان الجهوي بالسلك الإعدادي، مادة التربية الإسلامية(ص: 6)
3.مشروع التوجيهات التربوية(ص: 19)

وارتباطا بهذا الموضوع، تقول الدكتورة فاطمة بوسلامة – وهي أحد أعضاء لجنة واضعي المنهاج: (**وأما من جهة الكيف:** فقد اتجه التصور الجديد للمنهاج إلى اعتبار مادة التربية الإسلامية بمداخلها الخمسة (التزكية، والاقتداء، والاستجابة، والقسط، والحكمة) "وحدة متكاملة ومترابطة يلتحم فيها الفكر بالسلوك والعلم بالعمل". والأساس المتين الذي تبنى على قواعده هذه الوحدة، **ويكفل تحقيق ذلك الترابط هو القرآن الكريم**، إذ وردت التوجهات" بضرورة اعتماد السور القرآنية المقررة مرجعا معرفيا مؤطرا لمختلف المفاهيم والقضايا المتداولة في كل المداخل".

وانسجاما مع هذا الاتجاه، لم ترتب سور القرآن الكريم المقررة في سلك التعليم الابتدائي وفق ترتيب المصحف، وروعي في الترتيب الجديد مناسبة السور، ما أمكن، للموضوعات المقترحة ضمن المداخل، فبالنسبة للأسابيع(من 23 إلى 26)/ السنة الثانية ابتدائي مثلا، تم اختيار سورتي الانشقاق والعصر لتأطير دروس المداخل الخمسة، وهي على الترتيب درس(الله يسمعني ويراني، السميع ، البصير)/مدخل التزكية، ودرس(كدح الرسول صلى الله عليه وسلم، الرعي)مدخل الاقتداء، ودرس (أصلي المغرب و العشاء)/مدخل الاستجابة، ودرس(أعمل وأجتهد)/مدخل القسط، ودرس(أتقن عملي)/مدخل الحكمة.

ولا يخفى أن هذه المداخل تلتقي في مفهوم العمل الذي تؤطره الآيات من السورتين المقررتين، من مثل قوله تعالى: ﴿ ﴾ [سورة الانشقاق آية 6] ، وقوله تعالى في سورة الانشقاق آية 25، ﴿ ﴾ [سورة العصر آية 2] وهي آيات تبرز ولاشك قيمة العمل كما تؤكد فكرة ارتباطه بالإيمان.

والغاية المقصودة التي ينبغي أن يصل إليها المتعلم في نهاية دروس هذا الشهر(ضمن مدخل الحكمة)، هي وجوب(إتقان العمل) مقتديا بالنبي صلى الله عليه وسلم في عمله وكدحه، ومطيعا ربه الذي يسمع ويرى عمله، كما جاء في قوله تعالى أيضا في السورة المقررة ﴿ ﴾ **[سورة الانشقاق آية 15]**

وبالنسبة للأسابيع (من12 إلى 15)/ السنة الخامسة ابتدائي، تم اختيار سورة القيامة لتأطير درس (أومن بالبعث والجزاء)/ مدخل التزكية، وعنوان السورة يكشف بوضوح عن سر اختيارها قبل النظر في موضوعها، كما تم اختيار سورة التكوير في الشهر نفسه، وفيها قوله تعالى:﴿ ﴾ الآيتان8 -9، وذلك بهدف تأطير باقي المداخل التي يلتقي موضوعها في التعريف بمنزلة المرأة في الإسلام وتوجيه القرآن الكريم إلى احترامها وتقديرها، إذ سيتعرف المتعلم على شخصية أمنا خديجة رضي الله عنها من خلال درس (مساندة خديجة رضي الله عنها للرسول صلى الله عليه وسلم)/مدخل الاقتداء، ويقف على حق المرأة في مساعدتها وتيسير مهامها في درس(أمد يد العون، قصة موسى عليه السلام مع بنات شعيب)/ مدخل القسط، ليتقرر في ذهن المتعلم ضرورة تقدير المرأة مع درس(أقدر المرأة)، وهو موضوع مدخل الحكمة لهذا الشهر.

وهكذا تتوزع مفردات البرنامج الدراسي ضمن مداخل متكاملة مؤطرة بالقرآن الكريم يفضي بعضها إلى بعض على نحو يقوي من صلة المتعلم بالقرآن الكريم، ويساعده أكثر على ترجمة ما يتعلمه من آيات إلى سلوك واقعي وممارسة يومية.

وفي سلك التعليم الثانوي الإعدادي ، تواصل العمل وفق التصور نفسه، إذ دعا المنهاج إلى ضرورة " إبراز مبدأ تأطير السورة المقررة لجميع محتويات المداخل المقررة في كل أسدوس"، فتم اختيار، مثلا، سورة النجم لتأطير عدد من موضوعات السنة الثانية إعدادي من مثل، (علم الله تعالى للغيب والشهادة) الوحي-/ مدخل التزكية، و(الإسراء والمعراج)/ مدخل الاقتداء، (وشمول العبادة لمناحي الحياة)/ مدخل الاستجابة، و(تعظيم حدود الله وشعائره اجتناب الكبائر والموبقات)/ مدخل القسط.... والناظر في هذه السورة يقف، ولاشك، على آيات كثيرة تسعف في معالجة هذه الموضوعات، من مثل قوله تعالى في بداية السورة ﴿ ﴾ الآيتان 3- 4، وقوله تعالى ﴿ ﴾ [سورة النجم آية 10] ، وقوله تعالى في وسط السورة: ﴿ ﴾

الحشر آية 18]، وهو ما يستثمر في مدخل القسط الذي هو بعنوان (حق الله، تقوى الله).

وفي قسم ثالث ورد التنبيه على عظمة القرآن الكريم وقوة تأثيره، ﴿ **[سورة الحشر آية 21]** ، كما ورد في قسم رابع وأخير تعريف بأسماء الله تعالى: ﴿ **[سورة الحشر آية 22]** وهذان القسمان معا يخدمان مدخل التزكية/العقيدة الذي جاء من عناوينه، (أسماء الله الحسنى) و(أثر القرآن الكريم في تزكية النفس).

وتبعا لتكامل المداخل فيما بينها وتأطير القرآن الكريم لهذه المداخل، لم تبتعد باقي موضوعات المداخل عن المعاني والقيم المرتبطة بالموضوع الأساسي في سورة الحشر من مثل معنى(الهجرة المتجددة، المهاجر من هجر ما نهى الله عنه)، وقيمة (الإيثار والتضحية)، وقد وردت في سورة الحشر إشارة قوية لها. فضلا عن قيمة(التعارف والتعايش)، ولها ارتباط بوثيقة المدينة، وهذا ضمن مدخل الحكمة.

كذلك، وقع التنبيه ضمن دروس مدخل القسط على أهمية التخطيط والتنظيم في الحياة، وهو ما له ارتباط بتخطيط الرسول صلى الله عليه وسلم في الهجرة وتنظيمه للمجتمع الجديد. وأيضا أهمية أن يكون للدولة رئيس يتولى أمرها ويقوم على شؤونها الدينية والدنيوية وهو موضوع درس (إمارة المؤمنين، الأسس والغايات).

وبالنسبة لسورة الحديد، لا يخفى أن موضوعها الغالب هو الحث على البذل والإنفاق﴿ وقوله تعالى:﴿ **[سورة الحديد آية 7]** ،

عز وجل ﴿ [سورة الحديد آية 10]، وقوله

﴿ [سورة الحديد آية 17]، ونحوه. وهو ما يفيد كثيرا في تأطير الدروس المقررة لمدخل الاستجابة وهي الدروس المرتبطة ب(الزكاة، أحكامها ومقاصدها)، ودرس(الإنفاق في سبيل الله، صوره ومقاصده).

وتشترك سورة الحديد مع سورة الحشر في تأطير دروس مدخل التزكية ومدخل القسط السابق ذكرها، إذ وردفيها قوله تعالى: ﴿ إلى

﴿ [سورة الحديد آية 1] قوله تعالى:﴿

﴿ سورة الحديد/ الآيات 1-3.

كما ورد قوله تعالى:﴿

﴿ [سورة الحديد آية 15. وأيضا قوله تعالى﴿

﴿ [سورة الحديد آية 27]. لا أقصد

ههنا إلى عرض جميع الآيات المؤطرة لموضوعات المداخل المقررة، ولا الاستدلال على ما تزخر به سور القرآن الكريم من دلالات وقيم تؤطر فكر المتعلم وسلوكه بحسب سنه، بقدر ما أقصد إلى الكشف عن

منزلة القرآن الكريم وطبيعة الوظيفة التي تؤديها السور المقررة في البرنامج الجديد للتربية الإسلامية، وما يتصل بذلك من بيان حقيقة التصور الذي حكم اختيار هذه السور أو تلك)[4].

3. نموذج التكامل البيداغوجي الخارجي بين المداخل:

✓ **السنة الأولى باكالوريا/ الوحدة الأولى:**

- المقطع الأول من سورة يوسف.
- الإيمان والغيب.
- صلح الحديبية وفتح مكة: الدروس والعبر.
- فقه الأسرة: الزواج، الأحكام والمقاصد.
- حق الله: الوفاء بالأمانة والمسؤولية.
- الكفاءة والاستحقاق أساس التكليف.

♦ **أومن بالغيب كما أخبرت به سورة يوسف وجسده نموذج النبوة يقينا في صلح الحديبية وهو ما سيقوي التزامي بميثاق الزوجية، أحكاما ومقاصدا، وأداء لحق الله تعالى وفاء بالمسؤولية، والمبادرة لخدمة الصالح العام بشرط تحقق الكفاءة.**

✓ **السنة الثالثة إعدادي/ الوحدة الأولى:**

- المقطع الأول من سورة الحشر.
- أسماء الله الحسنى **"الله لا إله إلا هو عالم الغيب..."**
- حماية الدعوة وبناء الدولة: الهجرة إلى المدينة.
- العبادة غاية الخلق: العبادة صفة إيمان ودليل خضوع.

[4] . مركزية القرآن الكريم في المنهاج المعدل لمادة التربية الإسلامية، مقاربة ديداكتيكية(ص: 62-68)

- حق الله: تقوى الله.
- الهجرة المتجددة: المهاجر من هجر ما نهى الله عنه.

♦ **أومن بالله تعالى وبأسمائه الحسنى كما وردت في سورة الحشر، وأدعو الناس إليها كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأن التعبد بها هو غاية الخلق، أداء لحق الله تعالى بالالتزام بالتقوى، والترقي إلى تحقيق الهجرة المتجددة في الزمان بهجر ما نهى الله عنه.**

4. مبررات الاشتغال بالوضعية الدامجة:

* إن عملية تنزيل المنهاج تمر بالضرورة عبر تلك الممارسات البيداغوجية والديداكتيكية التي ينجزها المدرسون والمدرسات في الفصول الدراسية؛ لكن هذه العملية لا تتحكم فيها الأسس النظرية والخلفيات العلمية للمنهاج الدراسي، بل تتدخل فيها عوامل كثيرة من أهمها شخصية المدرس وتكوينه وفهمه للمنهاج.
* لقد جاء المنهاج الجديد للمادة بمجموعة من المستجدات التي سعت إلى تنزيل مجموعة من الممارسات التربوية التجديدية، سواء على مستوى بناء التعلمات أو تقويمها، وذلك في إطار أجرأة المقاربة بالكفايات.
* من أهم تجديدات منهاج المادة، المقاربة بالمداخل، هذه المقاربة التي تسعى إلى التكامل والبناء النسقي للتعلمات، وهذا الأمر لا يتم إلا من خلال اعتماد وضعية دامجة تجمع شتات مشكلات دروس الوحدة، خصوصا إذا علمنا أن الوضعية المشكلة، في جوهرها وغاياته، تشكل مقاربة لبناء المعارف في السياق المدرسي اعتمادا على العلاقات التفاعلية التي ترب المتعلم بواقعه، مما يمكن من إعطاء معنى ودلالة للتعلمات.

* تنصيص الأطر المرجعية للامتحانات الإشهادية ومذكرات المراقبة المستمرة على ضرورة اعتماد وضعيات تقويمية دامجة ودالة مرتبطة بالمادة.

* التغلب على إكراهات الزمن المدرسي وصعوباته؛ باعتماد أربع وضعيات دامجة يتم العمل وفقها، بحيث تتحول الدروس إلى مهام ومحاور في خدمة المهمة الأساس، وهي: حل مشكلات الوضعية.

5. توجيهات تربوية للعمل بالوضعية المشكل وفق منهاج المادة:

√ استحضار مركزية السورة القرآنية وهيمنتها على باقي المداخل معرفيا وبيداغوجيا وديداكتيكيا؛

√ بلورة القضية المركزية للسورة القرآنية؛

√ بلورة قضية الوحدة الدراسية من خلال:

- تقسيم السورة القرآنية إلى مقاطع تعالج قضايا فرعية مرتبطة بالقضية المركزية للسورة، ومؤطرة للقضايا الواردة في كل وحدة؛
- بناء الوضعية المشكل للوحدة الدراسية انطلاقا من القضية المركزية للمقطع القرآني المؤطر لمختلف المفاهيم والقضايا الواردة في الوحدة الدراسية؛

√ ضرورة استصحاب الوضعية المشكل في مختلف محطات ومراحل إنجاز دروس الوحدة الدراسية.